خطر للبلاد كبير

ومسئولية المثقفين نحوه

محاضرة :

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

(رئيس ندوة العلماء سابقاً ، لكناؤ، الهند)

تعريب

محمد فرمان الندوي

(أستاذ دارالعلوم لندوة العلماء ، لكناؤ)

ملتزم الطبع والنشر

مؤسسة سماحة العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

للطبع والنشر، حيدرآباد (الهند)

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢م

الكتابة على الكمبيوتر : محمد بلال المدني

يطلب الكتاب من :

١- المجمع الإسلامي العلمي ، لكنا ؤ،ص : ٩٣ (الهند)

٢- مؤسسة سماحة العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي للطبع والنشر، حيدرآباد (الهند)

الناشر :

مصلح الدين أحمد

حيدرآباد (الهند)

البريد الإلكتروني : muslehd@yahoo.com

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أمابعد!

فهذه محاضرة مرتجلة ألقاها سماحة العلامة الداعية الكبير الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء سابقاً ، في جامعة علي جراه الإسلامية أمام المثقفين وأساتذة وطلبة الجامعة ، فقد لفت فيها الإمام الندوي رحمه الله أنظارهم إلى خطر متفاقم لا تزال تتصاعد نسبته ، ودخل في موقف حرج .

كان العلامة الندوي يعتقد أن الظلم إذا انتشر في بيئة أو بلد أو قطر كان مؤذناً بخراب العمران ، فهذا المجتمع الذي نعيشه ، يوجد فيه أنواع منوعة لها مثل الخيانة وعدم الموضوعية والرشوة والاكتناز ، وإيثار أولي الأرحام والأقارب على الآخرين وقسوة القلب ، وقد نصح إمامنا رحمه الله تعالي خواص الأمة ومثقفيها بأن يقوموا لدحر هذه الفتن التي عمت وطمت على مستوى الفرد والجماعة في كثير من

البلدان ولا سيما الهند ، ويعتقد الإمام الندوي أن العلماء والمثقفين هما العاملان الرئيسان لمحو هذه الكارثة .

فمن بواعث الفرح أن مؤسسة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي للطبع والنشر تهتم بطباعة هذه المحاضرة المفعمة بالحرارة الإيمانية ليطلع عليها إخواننا العرب ، ويستفيدوا من أفكار الإمام الندوي استفادة كاملة، وقد ترجم الشيخ الفاضل محمد فرمان الندوي أستاذ مادة التفسير والأدب العربي بجامعة ندوة العلماء، لكناؤ الهند هذه المحاضرة إلى اللغة العربية الفصحى ، فله الشكر الجزيل .

أدعو الله تعالى أن يتقبل هذه الرسالة المنشورة ويجعلها ذريعة لمحو الظلم والطغيان من العالم .

والله ولي التوفيق

كتبه

مصلح الدين أحمد

١-ذو الحجة ١٤٣٣هـ

المقدمة

بقلم : **سماحة الشيخ الجليل السيد محمد الرابع الحسني الندوي**

(رئيس ندوة العلماء العام ، لكناؤ ، الهند)

الحمد لله رب العالمين،•والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد رأى العلامة الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي حاجة كبيرة إلى إصلاح المجتمع خلقياً واجتماعياً بعد ما استقلت البلاد ،و تحررت من سلطة الاستعمار الغاشم عليها منذ قرنين ، وركز على أهمية هذا الجانب جهوده الإصلاحية من خطب ومواعظ وكتابات ، فوفق إلى تأسيس حركة رسالة الإنسانية ولجنة إصلاح المجتمع لتوسعة هذه المهمة الإصلاحية ، التي أثرت أيما تأثير في كل ناحية من نواحي المجتمع ، وكان العلامة الندوي رحمه الله تعالى يلفت عناية زعماء الهند ومثقفيها إلى اختيار القيم الإنسانية والخصال الصالحة الحميدة ، فكان هناك خطاب أمام المثقفين في جامعة علي جراه الإسلامية ، عام ١٩٨٢م ، نقل هذا الخطاب آنذاك من الشريط وطبع في صورة رسالة ، ثم تكررت طبعاها باللغة الأردية نظراً إلى

خطورة وضع الهند ، تتجلى من هذا الخطاب فكرة الإمام الندوي نحو إصلاح هذه البلاد وأمثالها من البلدان الأخرى التي توجد فيها نفس الأمراض .

ورأى الأخ الكريم مصلح الدين أحمد الحاجة إلى نقل هذا الخطاب إلى اللغة العربية ،يستفيد بها أبناء البلاد العربية كذلك،وأسند عمل الترجمة إلى الأستاذ محمد فرمان الندوي (عضو هيئة التدريس،بجامعة ندوة العلماء،) فقام بأداء هذه الكلمة بكل جدارة وإحسان ،فللأخوين شكرنا و تقديرنا .والله ولي التوفيق .

كتبه

محمد الرابع الحسني الندوي

ندوة العلماء ، لكناؤ ، الهند

١-ذو الحجة ١٤٣٣هـ

١٨-أكتوبر ٢٠١٢م

تعريف موجز لحركة رسالة الإنسانية

بقلم : **فضيلة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي**

(رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء، لكناؤ، الهند)

تعد حركة رسالة الإنسانية من المجهودات الإيجابية التي قام بها سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى للفت النظر إلى خطر انتشار الفساد والظلم في المجتمع، وإزالة الشكوك والشبهات في أذهان غير المسلمين بالنسبة للمسلمين والتي تسربت إليهم من خلال التعليم والإعلام الجانبي الميال إلى الأغلبية ، والذي يستغله أحياناً بعض المسئولين الصغار ، ويتخذون مواقف لا توافق التصور العلماني ، بل تزيد كراهية المسلمين في الأغلبية ، كما تبعد الأغلبية عن المسلمين والإسلام ، ودراسة تاريخه ، وتعد حركة الإنسانية من أقوى الحركات في الهند ، التي نالت القبول في مدة قصيرة .

دواعي إنشاء حركة رسالة الإنسانية:

أنشئت حركة رسالة الإنسانية في عام ١٩٧٤م ، بعد سلسلة من الاجتماعات واللقاءات التي كان يعقدها سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي منذ عام ١٩٥٣م من أجل إيجاد وعي إنساني ، وترسيخ المثل الخلقية والتعامل النبيل بين مختلف أفراد المجتمع ، وقد حركته الاتجاهات التي ظهرت في الهند إثر الاستقلال بدعوة بعض

الزعماء الطائفيين والساسة الانتهازيين ، والصراعات بين مختلف الطبقات التي ثارت لعصبيات اللغة ، والثقافة ، والعقيدة ، والقومية ، والإقليمية الضيقة ، والعنصرية ، وأدت هذه الصراعات إلى سفك الدماء ، وانتهاك كرامة الإنسان ، ونشوء العصبيات ، والإسراع إلى العنف والإرهاب ، وبرزت الانتماءات الضيقة ، والنزعات الفكرية والسياسية الطائشة ، باستغلال العواطف الإنسانية للمصالح الذاتية ، وتغلب الشره لرفع مستوى الحياة ، وكسب المال بإهمال المثل والقيم ، وعدم رعاية الحقوق ، وكرامة الإنسان .

وازداد هذا الاتجاه خطورة بالدعوة إلى رفع مستوى المعيشة بدون دعم الوازع الخلقي في الإنسان ، وعدم ترسيخ المثل والقيم ، ولم يفكر زعماء البلاد خلال وضع القاعدة الصناعية للبلاد في وسائل إقرار القيم ، ومبادئ الأخلاق ، كما أغفلوا تعاليم الأديان ، ومثل الأخلاق ، في وسائل التعليم والإعلام ، فانحرف المجتمع إلى كسب المصلحة الذاتية ، وتنمية الموارد مهما كلف ذلك من ثمن ، فشاهدت البلاد مآسي إنسانية نتيجة للهوس لكسب المال .

كان سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي يتابع هذا الوضع ، وكان يقلقه هذا التدهور السريع في الحياة العامة، وشعر سماحته بأن البلاد كسفينة كبيرة ، فإذا انحرفت هذه السفينة إلى الطوفان ، وغرقت ، فكل من يركبها يواجه المصير المشئوم ، فعزم على بذل جهده لتحويل اتجاه هذه السفينة ، وقرر أن يوجه الدعوة إلى إيجاد الوعي الإنساني ، برسائل إلى القادة والمفكرين في البلاد ، يلفت أنظارهم إلى إعداد خطة

لإصلاح الوضع ، وأجرى مقابلات شخصية مع كبار القادة الاجتماعيين ، والمصلحين الدينيين من مختلف الديانات الكبرى في الهند،و وجه رسائل إلى رئيسة وزراء الهند السابقة "إنديرا غاندي" شرح فيها الوضع العام ، ولفت الانتباه إلى خطورة هذا الوضع .

بالإضافة إلى هذه الجهود الشخصية ، تحدث سماحة الشيخ الندوي في اجتماعات عامة عقدت خصيصاً لهذا الغرض في كبرى مدن الهند ، و وجه الدعوة للحضور فيها إلى أتباع مختلف الديانات ، وأكد على اتباع المثل في الحياة ، واحترام كرامة الإنسان ، وإيجاد مجتمع إنساني نزيه يشترك فيه متبعو جميع الأديان وأعضاء المجتمعات اللسانية والثقافية والعنصرية المختلفة بدون عصبية للجنس أوالعنصر أو العقيدة ، وقد عقدت هذه الاجتماعات في مختلف المدن و ولايات الهند الشمالية ، وافتتحها من مدينة "لكناؤ" التي ينتمي إليها سماحة الشيخ الندوي ، وسميت هذه الخطب المثيرة التي دعا فيها إلى التمسك بالقيم في السلوك ، ورعاية كرامة الإنسان ، والارتفاع عن النزعات والعصبيات باسم "رسالة الإنسانية" ونشرت ، فنالت قبولاً عاماً ونقلت إلى لغات هندية محلية متعددة.

فكرة الشيخ الندوي عن رسالة الإنسانية:

وتتلخص دعوة سماحة الشيخ الندوي وفكرته عن رسالة الإنسانية في كلمته الآتية:

"إن العالم الإنساني يحتاج فيما يحتاج إليه أن توضع أمام الإنسان، بالارتفاع عن المصالح الذاتية ، والعصبيات القومية ، والمصالح

السياسية، تلك الحقائق والقيم التي تلزم لنجاته وحياته بأمن وسلام ، وهي حقائق إذا أغفلت تعرضت حضارتنا ومجتمعنا لأخطار جسيمة ، و واجهت صراعاً عنيفاً للبقاء ، وقد بين هذه الحقائق الأنبياء في عصورهم ، وجاهدوا في سبيلها ، ولا تزال هذه الحقائق تحمل حيويتها وتأثيرها ونفعيتها للإنسان ، وتقدر على أن توصل الإنسان اليوم إلى النجاة ، لكن الحركات السياسية والمنظمات المادية ، والنزعات القومية أثارت الغبار الكثيف ، واجتاحت عاصفتها ، فاختفت هذه التصورات الإنسانية عن الأنظار .

إن ضمير الإنسان لم يمت رغم هذه العواصف الهوجاء ، و لم يجمد ذهن الإنسان ، و لم يتعطل عن العمل ، فإذا عرضت الدعوة إلى هذه الحقائق بإخلاص ، وبأسلوب سهل مستساغ يفهمه الإنسان اليوم ، فإن ضمير الإنسان وذهنه سيتجاوبان لهذه الدعوة ، ويقبلان عليها ، ويعرف الإنسان أن هذه الدعوة بلسم لجروحه ، وتعبير عن هواجسه" .

جهود الشيخ الندوي و نتائجها:

شعر سماحة الشيخ الندوي بضرورة التحاور بين أعضاء مختلف الطبقات لإزالة سوء التفاهم الذي يؤدي أحياناً إلى الصراع ، ودعوتهم إلى بذل جهد مركز لإصلاح المجتمع ، فعقدت لهذا الغرض عدة حوارات في مختلف أنحاء الهند، وفي جميع هذه الاجتماعات اشترك أتباع مختلف الديانات والطوائف لدراسة الأسس المشتركة للسلوك باحترام متبادل ، وإشاعة روح التسامح في السلوك .

كان الوضع في بعض المناطق متوتراً ومتأزماً ، وخاصة بعد الاضطرابات الطائفية ، وتصعدت حركة الاستيلاء على ما يسمى بمسقط رأس (راما) في "أيودهيا" ، وعمت المسيرات الطائفية ، واستغلت الأحزاب السياسية النزعات الطائفية في الانتخابات ، فعقدت اجتماعات مشتركة تحت هذه الحركة ، فتآلفت القلوب وتقدم عدد من كبار العقلاء والمثقفين من الهندوس ، وهدأت العواطف في الأماكن التي عقدت فيها هذه الاجتماعات ، وأمكن تجنب الصراع .

والآن يرأسها خليفة الشيخ أبي الحسن علي الندوي سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي الرئيس العام لندوة العلماء ورئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية لمسلمي الهند، وتقوم بأنشطتها برعايته وتوجيهه، وتلعب دوراً كبيراً في إزالة الشكوك والشبهات، وإنشاء جو الألفة والمحبة، وإقرار مجتمع إنساني فاضل يسوده الأمن والسلام وروح التضامن والتعاون.

وقد نالت هذه الحركة إعجاب عدد من غير المسلمين المثقفين ، وكان منهم بشيشبرناتهـ باندي حاكم ولاية "أوريسا" سابقاً ، وقد صدرت له تآليف في تصحيح التاريخ ، وأنكر فيها بعض الأساطير والقصص الشائعة التي تبث الحقد والكراهية للمسلمين ، ويقدم تاريخهم بدون العصبية الطائفية ، كما تأثر بالحركة عدد من الصحفيين الكبار وعرضوا فكرهم في الصحف الهندية .

خطر للبلاد كبير
ومسئولية المثقفين نحوه

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

فقد قال الله تعالى : فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُون مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّة يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ .(هود الآية/١١٦) .

أيها الإخوة الفضلاء الأعزة !

لقد تلوت أمامكم آية من القرآن الكريم ، وهي زاخرة بمعان غزيرة ، من الحرقة والقلق والحماسة والقوة والحقيقة ، أعترف بأني لا أستطيع أن أترجمها ، وما زلت متعلماً للقرآن الكريم ، ودرست اللغة العربية دراسة واعية — بفضل الله ومنه — لكني أقول بكل صراحة : إن ما تحمل الآية من معانٍ يصعب علي نقلها إلى لغات أخرى .

الغيرة من أسباب النجاة :

يبين الله عز وجل أنه لماذا لم يكن في الأمم الماضية أولو غيرة ممن يحملون شعوراً ضئيلاً بأمراض المجتمع ، وكان في قلوبهم إحساس

بخطورها وتفكير ذو أهمية نحو الإنسانية ، التي تعاني من الفساد المتفشي والدمار الواسع في الأرض ، إلا أن قليلاً منهم قاموا بهذا العمل فأنجيناهم ، أما الآخرون فقد انجرفوا في التيار العارم ، تيار الساعة ، وبدؤا يستغلون المناسبات الذهبية في الوضع المتفاقم ، ويتمتعون بوسائل الترف والبذخ ، ويكسبون منافع كثيرة لأنفسهم ، وأنتم تعلمون أن الانتفاع من الوضع الفاسد أسهل، وتتوافر جميع الإمكانيات لتخريب بيوت الآخرين والمرور على جثثهم (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين) .

أيها الإخوة : إن إصابة الإنسان بالأمراض ليس غريباً ، وإن انهيار الصحة ليس خلافاً للفطرة الإنسانية ، بل هذا نوع من علامة الحياة ، معلوم أن الحجر لا يخطئ ، والشجر لا يخطئ ، لكن الإنسان هو الذي يخطئ ، فليس هذا مبعث قلق شديد ولا حاجة لليأس والقنوط منه ، إن وقوع جماعة في خطأ كبير وجنوها لتكميل غرائزها السافلة وأهوائها النفسية ليس سبب تشويش شديد في تاريخ الإنسان وتقديره ، بل الذي يبعث على القلق والاضطراب أن يفقد الرجال الذين يقاومون الأوضاع الفاسدة ويتعرضون لدحض القوى الطاغية ويخاطرون بتسهيلاتهم وسلطاتهم ، وفي بعض الأحيان حكوماتهم ومناصب تمكينهم ، هذا هو القلق .

اخضر حقل الإنسانية بتضحيات الأبطال المغاوير :

لقد أصيب الناس مرات كثيرة بسوء النية ، وتعرضوا للقوى المفسدة والمفرقة للجماعة أو القيادات أو واجهوا المؤامرات ، وكان

يبدو أن الإنسانية في احتضار ، وتكاد تلفظ نفسها الأخير ، لكن التاريخ يشهد أنه كان في كل زمن رجال قاوموا الفتن بكل جراءة ، وناضلوا القيادات الخاطئة وخاطروا بأنفسهم ، إن الحضارة الإنسانية الموجود حتى الآن ليس تسلسلاً سلالياً ، بل إن امتداد الخصائص الإنسانية ، ظل موجوداً في كل عصر ، فإن الأحاسيس والعواطف الإنسانية ، والقيم العليا ، وقوة التضحية والجراءة والهمة لبقاء التعاليم الإنسانية وازدهارها ، كلها مدين للرجال الذين قيضهم الله لمقاومة الظروف الفاسدة ، فتحدوا العصر ، وبذلوا كل رخيص ونفيس في هذه الأوضاع ، حتى غيروا في بعض الأحيان مجرى التاريخ ، فالإنسانية باقية وحية بفضل مثل هؤلاء الرجال ، كان أدباء كل عصر ، وشعراء كل زمن ومتحمسو كل دهر يشكون فساده ، لكن رغم ذلك كله نرى أن ذخائر القيم الإنسانية والعواطف البشرية والرجال الصالحين متوافرة ، فهذا من ثمارهم الذين بذلوها في معترك الحياة ، ناسين مصالحهم الذاتية ، وألقوا أنفسهم وأسرهم وأجيالهم في خطر ، وغيروا تيار العصر ، فاخضر حقل الإنسانية بمساعي وتضحيات هؤلاء الأبطال المغاوير .

أيها الإخوة :

إن حقل الإنسانية يحتاج إلى سماد في كل زمن ، وهذا السماد (Fertilizer) يزيد من قوة الخصب في الأرض ، ويقوي المزروعات والإنتاجات ، فكذلك تحتاج الإنسانية إلى سماد ، فالسماد لحقل الإنسانية النفور من المصالح الذاتية ، وإن هذا السماد إذا ألقي في هذا

الزرع اخضر الحرث والنسل ، وأزهرت الأرض من الإنتاج الصالح ، وكسبت الإنسانية خيرات كثيرة ، وتوافر للإنسانية قسط جديد للحياة ، فينبعث في الناس شعور العيش في هذه الدنيا ، وإن توافر الوسائل والإمكانيات الكثيرة ، وازدهار العلوم والتكنولوجيا ، والفلسفة والأدب والشعر لا يضمن شيء منها بقاء الإنسانية ، بل إن بقاء الإنسانية منوط بالرجال البواسل ، الشجعان الكماة ، المتحمسون لها الذين يحملون قلوباً مجروحةً ، وعيوناً دامية ، وعقولاً مشتعلة ، والذين يقاومون الأوضاع الطارئة ويتحملون الآلام ويجازفون بحياتهم في سبيل تغيير مجرى التاريخ ، فإذا قل هذا الصنف من الناس تعرض المجتمع لكل خطر ، وإن كان يبدو من بعيد صالحاً وجيداً ، كما أن الجسم السمين ينمو فيه عشرات من الأمراض ، لكن سمنته تسدل عليها الحجاب ، وينخدع الناظرون إليه فيظنون أنه جسم صحيح سالم ، لكنه في الواقع مجموعة أمراض خطيرة ، كذلك شأن المجتمع ، فإن نظرةً ظاهرةً على المجتمع لا تعكسه إلا ذا سمنة غير طبيعية وغير معتدلة ، يتدفق الدم على ظاهر وجهه ، لكن حاله كما الدكتور إقبال :

"إن مقدار الماء والخبز إذا كان في الجسم ظهر الرونق والبهاء والنضرة على الوجه ، لكن ليس هذا روحاً ، إنما الروح شيء آخر" .

عاطفة الإيثار وأثرها في المجتمع :

إن روح المجتمع ومادة الحياة الاجتماعية عاطفة الإيثار ، وقوة التحمل بحيث يتحمل أفرادها الظروف القاسية ، ويتجرعون المرائر ، ويصبرون على الحوادث ، فهم لا يجرون وراء الشهوات ، ولا

يفقدون قوة كظم الغيظ ، فمثل هؤلاء الأفراد يحملون مكانة عالية في المجتمع ، وإن صفاهم يثنى عليها ، وينظر إليها عامة الناس بغبطة ، وينال هذا المجتمع تقديراً كافياً وإن للإحسان إلى أحد ، والنفور من الظلم والبعد عن الغيظ والبغض أهمية كبيرةً.

طبيعة الظلم خطر كبير :

أكبر خطر لأيّ مجتمع (سواء كان المجتمع قديماً أو حديثاً) هو أن تحدث فيه طبيعة الظلم ، وأدهى من هذا و أمر أن يكون عدد أولئك الذين يكرهون الظلم قليلاً ، يعدون على الأصابع ، ولا يمكن أن يروا بالمنظار والتلسكوب فضلاً عن المجهر ، ولا يبقى رجال في هذا المجتمع يتفززون الظلم والوحشية والقسوة وغلظ القلب والاعتداء على الضعفاء ، ويعلنون بهذه الكراهية ، نحن نعرف أن يوجد في الدنيا رجال يكرهون الظلم جالسين في بيوهم ، ويقولون : هذا الواقع ليس بصالح ، ونذير خطر ، إذا لم يكن هناك رجال يذهبون بهذه القضية إلى الشعب ويعلنون إعلاناً صارخاً ضده ، فإذا فقد مثل هؤلاء الأفراد ما استطاع أحد أن يخلص هذا المجتمع من الهلاك والدمار ، إذا وجد الظلم سبيلاً إلى مجتمع ونظر إليه الناس بعين الرضا ، وإذا تعين معيار للظلم : شخصية ، أو وطنية أو طبقة أو قبيلة ، أو لغة ، أو نسب ، كان ذلك مبعث خطر متفاقم للإنسانية ، فإذا وزعت الإنسانية في مثل هذه الخلايا وتقرر مثل هذا المعيار لكيل الظلم وإثبات الظالم ما أمكن لأي قوة أو فطانة أو ثروة أو مشروع أن ينجي هذا المجتمع .

التربية الحسنة من أقوى أسس المجتمع :

كان عند العرب قول أو أصل ، أخذ صورة مثل سائر : "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" وكان العرب في الجاهلية ينتهجون هذا النهج ، كأنه أصل الحياة ، ونال عندهم مكانة التعليم الديني ، وكـــان هـــذا القول مشهورا ،بحيث لا يحتاج أحد إلى التفكر والتدبر فيه ، مرة أعاد رسول الله ﷺ هذا المثل أمام الصحابة :انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فكان عند العرب حقيقة متعارفة وظاهرة ملموسة أن يسكتوا لـــدى هذا القول ، وهذا القول يتكلم به الرسول الذي لا يكذب أبـــداً ، لكن التربية التي وجهها رسول الله ﷺ نحو الصحابة ، والذهن الـــذي صاغه لم يقبله ، فقالوا : ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالما ؟! ذلك أن أقوى أسس المجتمع الذي يعتمد عليه كثيرا مثل التربية التي يتنبه لها الذوق السليم بل القلب السليم (وليعلم أن الذوق السليم ينخـــدع ، لكن القلب السليم لا ينخدع) ويتساءل أنه كيف يمكن أن يبقى الظلم في المجتمع وينمو ويستمر ؟

هذا نموذج نهائي للتربية الخلقية ونجاحها ، يندر وجود مثل هذه التربية في تاريخ العالم بأن الصحابة الكرام الذين كـــانوا أعلـــى مثـــال للاستسلام والانقياد ، وكانوا يقعون على النبي ﷺ مثل الفراش علـــى النور ، ولا يخشون عواقب الأمور ، إن الفراش تقـــع علـــى الأرض وتموت ولا تهتم بشيء آخر ، إن الصحابة لا يحتاجون إلى التأمـــل في أمر بعد قول أو إشارة من الرسول ﷺ ، أحدث فيهم ثورة ، ورفـــع صرح المجتمع على أسس متينة وعالية أن الرسول ﷺ لما خاطبـــهم :

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، اضطرب الصحابة له ، وقالوا بكل أدب واحترام : يا رسول الله ﷺ ! أنت علمتنا أن ننصر المظلوم لا الظالم ، هل سمعنا ما سمعنا كان حقاً ؟! فأخبرنا بأننا كيف ننصر المظلوم ؟ فأجاب : نعم ، يُنصر الظالم أيضاً ، لكن صورته تختلف ، إن صورة نصر المظلوم أن لا نظلمه ، ولا نتركه حتى يظلمه الناس ، وإن نصر الظالم أن نأخذ بيده ونمنعه من الظلم .

الظلم ظلمات :

هذا الأمر يصون المجتمع الإنساني من الضياع ، على المرء أن ينصر الحق بغض النظر عن الديانة والملة ، والوطنية ، والطبقة والنسب ، ومن غير مراعاة للعلاقات والمصالح الشخصية ، ولا يميز بين ظالم ومظلوم ، إن الظالم وإن كان أحب الناس ورئيساً وسيداً يُمنع من الظلم ، وإذا كان في المجتمع مثل هذه الجراءة الإيمانية وقوة عدم الانحياز والإخلاص سَلِم المجتمع ، وإذا لم يكن فلا تستطيع قوة في العالم أن تخلصه من الضياع ، هذا الذي فقد في بلادنا اليوم ، فنشأ خطر وجود هذا المجتمع الذي يفقد التمييز بين الظالم والمظلوم .

صنفان من الناس عماد المجتمع :

إذا أصيب مجتمع إنساني بالانحطاط الخلقي في أيّ زمن أوتعرض لمؤامرة إنسانية أو قوة مفسدة قام صنفان من الناس آنذاك : (١) المثقفون ، (٢) والعلماء ، هذان الصنفان من الناس يسري إليهم الفساد (Corruption) في النهاية ، ويشهد التاريخ ، والقياس والعقل السليم (Common sense) بأن الفساد يتسرب إلى طبقة العلماء ثم

المثقفين ، وإذا دخل فيها الفساد كاد هذا المجتمع أن يتشتت شمله (إلا ما شاء الله ، فإذا كانت مشيئة الله ساد المجتمع جو الراحة والاطمئنان) .

فالحاجة ماسة إلى أن يقوم العلماء والمثقفون ، وإلى أن تخرج جامعاتنا ومؤسساتنا رجالاً يصونون المجتمع ، إني أخشى أن مؤرخ المستقبل إذا سجّل تاريخ هذا المجتمع الذي نتنفس فيه أن يكتب أن هذا الحادث الكبير وقع في عصر العلوم ومراكزها التي وجدت في هذه البلاد مثل جامعة علي جراه الإسلامية ، ودار العلوم بديوبند ، ودار العلوم لندوة العلماء ، والجامعة الملية الإسلامية ، كانت هذه الأمراض يتسع زمن وجودها وبقائها ، فالواجب عليكم أيها الناس أن تقوموا بمقاومة هذا الفساد ، والخيانة وعدم الموضوعية والرشوة والاكتناز ، وإيثار أولي الأرحام والأقارب على الآخرين وقسوة القلب (ولو سمحتم باستعمال كلمة لقلت:) الوحشية وسفك الدماء الذي يستمر صباح مساء ، وأن تكونوا سداً منيعاً لوقف فساد وضياع هذه البلاد

بعض صفات الشباب الغيارى :

فمن صفات مثل هؤلاء الشباب الغياري أن يكونوا على قمة من الجراءة الخلقية ، وبعيدين من تحقيق مصالحهم الذاتية ، ويكونوا معطاء لهذا المجتمع ، لا مستفيدين منه ، ولا مستغلين من نظامها الفاسد ، ويكون شأنهم مثل ما حكي الشاعر الإيراني "عرفي" :

"إن عرفي مثل الساقي الذي لا يزال يسقي ، فإنه للآخرين مثل حاتم الطائي ، ولنفسه فقير" .

ومن خصائص هؤلاء الشباب الذين يقومون في الأوضاع الفاسدة ، ويخلصون الناس كلهم والمجتمعات الإنسانية جمعاء من الضياع إنهم يحملون طبيعة الساقي وفطرته ، الساقي يسقي ولكن لا يستأثر نفسه بالسقيا ، هذه المرحلة صعبة ، ولا يجتازها إلا المتحمسون أولو الغيرة .

السعي المستميت يضمن لصيانة البلاد :

أقول بكل صراحة لإخواننا الأعزة : إن راية مجدنا وكرامتنا ترفرف في الهند إذا سعينا لتجنيب هذه البلاد من الدمار سعياً مستميتاً مخلصاً ، بعيداً عن جميع شوائب الحياة ، بل سعياً عصامياً ، إذا كانت هناك أمة تفيد ولا تستفيد ، تنفق كل ما تملك وتغني الآخرين ، وتظلم بيتها ، وتوفرت المصابيح لبيوتهم حتى تتنور ، وتجيع صبيانها مثل أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه وتشبع الضيوف وتكرمهم كسبت مكانة عالية من العز والسعادة ، إذا درستم التاريخ لتبين كثير من الحقائق وظهرت لكم عبر وبصائر .

ومما يؤسف له أن الناس لا يعرفون وراء الحوادث التاريخية وثورات الحكومات ، وعن القوي الخفية التي تغير عقارب الساعة ، ومجرى بلاد أو قطر ، لا يكتنسها المؤرخون ، فطالما يكتبون : أن فلاناً ملك مصير البلاد ، ومات سلطان فلاني ، وهجم فلان على بلاد وفتحتها ، وانهزم فلان ، لكن لا يدرون عن القوى التي تختفي وراءها ، ولا يطلعون على الأسباب الحقيقة ، لذلك ولا يفطنون أسباب الأسباب ، كما يقول الشيخ جلال الدين الرومي : إذا كان موسم

الصيف ، ففيه تستعمل المروحة ، ويرى ذلك رجل عادي فيظن أن الهواء يخرج من هذه المروحة ، لكن الرجل الذكي الذي يكون نظره عميقاً يقول : كلا ، الأصل في هذا هو اليد التي تحرك المروحة ، إذا وضعت المروحة على الأرض لا يخرج منها هواء ، وإن الرجل الذي يكون نظره أشمل يقول : ليست اليد هي العامل الرئيس في الهواء ، إنما هو إرادة الإنسان وعاطفة الخدمة وصلاح النية الذي يتمتع به ، وإذا كان هناك رجل يحمل نظراً عميقاً ودقيقاً يقول : ليس الهواء من المروحة ولا من اليد ، بل إن الهواء لازم للإنسان ، وهو ما يوجد في الفضاء ، فالمحسن الأصيل الهواء ، لكن الرجل يتفكر أكثر منه يقول : كلا ، إن المحسن والمنعم الحقيقي هو الله الذي خلق هذا الخلق وأمره بامتثال أوامره .

هكذا شأن التاريخ فإنّ وراء القصص والحوادث أسباباً تتلوها أسباب وأسباب ، وبينها علاقة ، وإن ما تشاهدون أن قد عم صلاح في مجتمع، وقام مجتمع على أسس متينة ، بعد ما كان يحتضر ويعيش بين الموت والحياة ، وبدأ حياته من جديد ، وكشف مواهبه المخبوءة المكنونة ، تكون وراءه جماعة أو رجال ، يخاطرون بأنفسهم ، ويغمضون عيونهم من جميع مصالحهم الذاتية .

رفع راية الخلق النبيل سبيل العز والكرامة :

إن البلاد مثل الهند التي هي مهد الحضارات ووطن الأمم المختلفة ، ولها تاريخ واسع ، يوجد فيها سوء التفاهم وشيء من المرائر، و ما زال الصراع السياسي فيها ، إني أقول بكل صراحة : لا

سبيل للعزة والكرامة فيها خاصة للمسلمين إلا أن يرفعوا راية قيادتها الخلقية ويبذلوا لوقاية هذه البلاد من الأخطار سعياً مشكوراً ، ويعلنوا بأنهم يستطيعون أن يلقوا أنفسهم في المهالك لصيانتها ، وليس وراء هذا خطة فردية أو جماعية حتى قومية أو دينية خاصة لهم ، وهم يسألون أجره من الله تعالى ، ويقومون تحت شعار عقيدة أو عاطفة أن هذه البلاد أمانة ، وسكانها خلق الله ، نعيش معهم ، إذا لم يكونوا لن يكون وجودنا في هذا المجتمع .

أحسن وقت لصالح الإسلام :

إن الهند تمر بمرحلة عنيفة ، فيتحتم على المثقفين والمتعلمين وفضلاء جامعاتنا ومؤسساتنا أن يتحملوا هذه المسئولية ، هذا المجال للمثقفين ، والعقلانيين ، والعلماء والرجال المخلصين الذين ليست لهم أدنى علاقة بالمصالح السياسية والأحزاب السياسية ويقطعوا صلتهم بها ، بحيث يظن أصحاب الأحزاب أنهم يزيدون من قوة الأحزاب ، وتنال أحزابهم المناصب الرئيسة بين الجماعات الأخرى ، إن التاريخ لحافل بأولئك الرجال أنه إذا حان نيل الجوائز وقد قدمت الحكومة في صورة طبق ذهبي ، صرح عباد الله المخلصون بأننا ما عملنا لأدنى شيء منها، والله كان عملنا مواساةً وإخلاصاً وابتغاء لوجه الله تعالى ، لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً .

هذه حقيقة ، لابد أن يدركها شبابنا خاصةً أن هذا الوقت ذهبي وثمين جداً ، يأتي مثل هذه الأوقات الذهبية في تاريخ البلدان والأمم في قرون متطاولة ، وقد أتاح الله لنا هذه الفرصة الثمينة ، نشكر الله عز

وجل على أنه خلقنا وإياكم في هذا العصر ، الناس يتظاهرون بالمواساة ويقولون : يا ليت لنا ما خُلقنا في مثل هذا العصر ، لكن ليس هذا منهج فكر الأبطال المغاوير المتحمسين ، إني أباركك م ، وأبارك مسلمي الهند ، وأبارك جميع الرجال المحبين للخير ، والجماعات المواسية للإنسانية والعقول المفكرة في صالح الأمة بأن الله خلق هؤلاء في عصر ، ووفر لهم هذه الفرصة التي لا يستطيع سلفنا أن ينالوا بعباداتهم وبمجاهداتهم وبلياليهم ساهرين ، ولا بنهارهم صائمين ، توافرت لنا هذه الفرصة أننا نستطيع أن ننقذ هذه البلاد من أفواه الثعابين خدمةً صالحةً للإنسانية ، واستماتةً لأنفسهم .

القلب الحي مصدر كل خير :

أقول صراحة بدون اعتذار : إني قد درست التاريخ ، لا أدري أن المجتمع الهندي ابتلي بخطر ، مثلما ابتلي به الآن ، في ظرف ثلاثين أو خمسة وثلاثين عاماً ، لن أعتذر من هذا القول ، مُني جسد الهند مرات بأمراض ، انهزمت الهند ، وحكمتها بريطانيا ، هذه حقائق تاريخية ، لكن لم تضعف روح الهند وضميرها بحيث إنه ترك العمل وتوقف ، ولم يأت في تاريخ الهند عصر ، تحمل فيه سكانها الفحشاء والظلم بكل سهولة ، كما يتحملونها الآن ، بل الواقع أنه يجعل له فلسفة ويستحكم به الجماعات ويرتب نظامها ، وتثبت جدارة الحكومة على الهند ، وقعت الهند فريسةً لمئات من المصايب ، لكن الضمير الإنساني للهند ظل حياً ويقظاً ، لم يترك عمله ونشاطه أبداً ، لكن الخطر الكبير ما قال الدكتور محمد إقبال :

إنني أخاف أن لا يموت القلب الحي ، لأن الحياة عبارة عن حركته وعمله ، فأخاف عن ضمير الهند لعله قد مات ، وليس خطر أكبر من أن لا تسمع أنة لمتحمس في هذه الدولة الواسعة الأرجاء ، بحيث استغاث أحد باضطراب وجاء إلى العمل بكل جراءة قائلاً :

"إن كرة التوفيق والسعادة في الميدان ، لماذا لا يأتي أحد إليه ؟ ما حال الفرسان ؟"

لا أنكر فضل الزعماء ، والجماعات السياسية ، والمؤسسات التعليمية والمكتبات ، وفضل الخطباء والوعاظ وأهل الفطانة بل العباقرة ، لكن أين الضمير الإنساني الذي يبكى دماً على انحطاط هذا المجتمع ، ودناءة الإنسانية ، قد صان الإنسانية مثل هذا الضمير ، لا السيوف والرماح ، ولا الجيوش والشرطة ، ولا الثروات الملكية وكثرة الأموال ، ولم يحفظها ازدهار العلم الإنساني ، والعلوم الطبيعية والتكنولوجيا ، فإن هذا الضمير الإنساني تغلب على هذا كله ، إذا كانت الوسائل مفقودة أحدث الوسائل ، انظروا إذا تأثر قلب إنساني بألم أو مصيبة ، وإذا اضطرب به فماذا يفعل ؟ تكون عند رجل كومة الإمكانيات ، لكن ليس في قلبه شعور بالألم ، ولا يحمل عاطفة العمل نحوه ، فينقضي الوقت ولا يعمل شيئاً ، فساد الضمير الإنساني فساد المجتمع .

إن الخطر الذي أشعر به هو أن ضمير المجتمع الهندي تعطل نظامه، وترك عمله ، هذا موضع خطر ، لأن الإنسانية ترجو من هذا الضمير رجاءً ، وإن خير وصلاح هذا العالم منوط به ، فإذا كان الضمير

حياً وجد نوراً من الله ، ووجد غذاء من الأنبياء فلا يصاب بعبادة المال، وعبادة المنصب ، وينجز الأعمال التي قصرت عنها الحكومات الكبيرة المترامية الأطراف والجنود المجندة ، انظروا أن الذين كانوا يحملون الضمير الحي ، والضمير الصالح المتحمس كدسوا أعمال ضخمة وخدمات كبيرة ، هؤلاء الأولياء ماذا كان عندهم ، وما قيمة الكنز الذي يحملونه ، لكنهم أحدثوا مجتمعاً جديداً ، فبدأ عهد جديد منهم .

إن الواقع الذي نشكوه هو أننا نسمع أصواتاً من كل نوع ، ونقرأ قرارات من كل صنف ، وتظهر أمامنا إعلانات من كل ضرب ، لكن لا تُرى عين باكية ، وقلب يشعر بالآلام على انتهاك حرمة الحقوق الإنسانية وقتل النفس البشرية وانحطاط الإنسانية ، نرى من اللازم أن يوجد مثل هؤلاء الرجال في المؤسسات التعليمية التي تهتم بدراسة كل العلوم ، وليكن هناك رجال ، بل شباب لا يبالون بلومة لائم ، كما أن نبياً من الأنبياء لما بدأ مهمة إصلاح القوم في المجتمع الفاسد طعنه قومه في عرضه وقالوا : (قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَذَا) (سورة الهود الآية/٦٢) قد عقدنا منك أماني كبيرة ، أنك تجعل بيتك ذا رفاهية ، وتذيع سمعة قومك وسمعة وطنك ، ماذا تحملت من عبء، من أين أخذت هذا الخصام ، كان الدين لدى القوم سبباً للخصام والنزاع ، لكن التاريخ يشهد أن سفينة الإنسانية التي تكاد تغرق أخرجها من المهالك الذين لا علاقة لهم بمصالحهم الذاتية ، بل آثروا مصالح المجتمع على مصالحهم ، فالقوم الذين حرموا أمثال هؤلاء الأفراد الذين لا يعبأون بأكبر منصب أو وظيفة في تحقيق أهدافهم فلا

يرجى منهم خيراً ، ولا يوزن لهم وزن ، لا في ميزان الله ولا في ميزان الإنسانية ، وقد وُجد رجال الهمة والغيرة في المسلمين ، الذين لم ينظروا إلى الحكومة نظرة تلهف ، فالعصر الحاضر يحتاج إليهم ، سواء كان عددهم قليلاً ، لكن يجب أن يكون رجال يقومون :

"اذهب و ضع الشبكة على صيد آخر (اقتنص صيداً آخر) لأن العنقاء أكبر من أن تصاد" .

الدنيا ليست ثمنا للإنسانية :

وقد أظلت على المسلمين كارثة أن قد اعتقد العقلاء وأولوا البصر نظراً إلى تجارب الحياة التي مروا بها أن لكل رجل هذا المجتمع ثمناً ، إذا لم يُشتر في ثمن يُشترى في آلاف منه ، لكن لم يخل أي عصر من رجال الله (ولا قدر الله) الذين لايبيعون أنفسهم إذا ألقيت أمامهم المناصب وأمثالها من المراتب لا يخيل إليهم أن يقبلوها ، وإذا تصوروا قبولها ذهب نومهم ، أعتقد أن مثل هؤلاء الرجال موجودون بفضل الله عز وجل في الدنيا الآن كما يقول شاعر أردي :

"لا تزدر المتواضعين ، وأنت لا تعلم ما قيمة فارس وغباره ؟"

يوجد في مجتمعنا رجال أن أكبر منصب أو أعظم وظيفة لا يستطيع أن يساوم موقفهم من الدين ورأيهم الذي اختاره بعد دراسة واعية ، فلا يتنازلون من فقرهم وحصيرهم نحو هذا المنصب ، والحمد لله على أن هذا العصر لا يخلو من مثل هؤلاء الرجال ، فليس بصحيح أن يظن عن كل فرد أن يساوم ، رغم أن هناك صياداً لـــ "هما" (طير

خيالي مشهور ، يصعب نيله ويعتقد أن من مر من فوق راسه صار ملكاً) ، لكن لا يصاد ، مثل هذا "هما" عزة الإنسانية ، فلا أقول لكم : التمسوها ، بل أقول : كونوا مثل "هما" الذي لا يقتنصه أكبر صياد ، ثم تكونون الطير الذي إذا مر من فوق رأس رجل صار ملكاً ، إن "هما" طير خيالي ، لكن كونوا "هما" في معنى الكلمة ، إذا مررتم بأحد وجد القوة ووجد الاعتماد على الله ، ووجد الإيمان بالله تعالى .

تاريخ الهند حافل بعصاميين :

إن بلادنا وإن مجتمعنا المحتضر لا يحتاج إلى الفضلاء الكبار والعلماء العظام والمثقفين المبجلين مثلما يحتاج إلى أناس باسلين أقوياء، مستعدين لكل أنواع التضحية ، وإنني أعتقد أن جامعة علي جراه الإسلامية التي منحت البلاد والقوم مثل الشيخ المجاهد محمد علي جوهر الذي بدأ في هذه البلاد الحياة الجمهورية ، بل السياسة العامة ، هو الذي أتى بالمستر غاندهي (زعيم هندي) إلى ميدان السياسة ، هذه ظاهرة تاريخية ، كانت السياسة من قبل المثقفين والمطلعين على بنود السياسة ، فكانت طبقة أرستقراطية للمثقفين تتكلم عن السياسة ، فإن الشيخ محمد علي جوهر وأخاه شوكت علي قاد بالسياسة إلى الأسواق والمنتزهات والشعوب العامة ، كان من متخرجي هذه الجامعة ، فقد أشعل في هذه البلاد مجامر الحرية والغيرة الدينية ، وأسس حركة الخلافة ولعب دوراً قيادياً في حركة تحرير البلاد ، إن مجتمع الهند ينتظر مثل هذا المجاهد ، وهو متشوق لكل من يملأ هذا الفراغ .

لكل عصر مجاهد ، ومجاهدوالساعة الشباب الغيارى :

إني أمثل عن هذا المجتمع أن مجتمعنا يطالب منكم بمجاهد الساعة ، لكل عصر مجاهد ، ولكل وقت دعوة ، ولكل وقت حاجة ، لما كانت الحاجة إلى أبطال حركة الحرية ، ولما كانت الحاجة إلى الكماة الذين ينفخون في تحرير البلاد والروح ، قام إخوة محمد علي جوهر ، فالهند تحتاج اليوم إلى أن تصان من الانحطاط الخلقي ، وإلى أن يقدم نموذج مثالي للإيثار والتضحية أمامها ، وهي مضطرة إلى أن يكون فيها شباب مثل أصحاب الكهف الذين قال الله عز وجل عنهم : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ (الكهف الآيتان/١٣ — ١٤) .

إن مجتمعنا اليوم يحتاج إلى شباب يقدمون إلى ميدان الحياة ، ويصونون البلاد من الانحطاط الخلقي ، قد بلغ الانحطاط الخلقي إلى آخر حد ، إن إصابة رجل بحادثة أمر ، لا بد أن تحدث ضجة ، واجتمع الناس حوله، وتخرج الأمهات من بيوتهن ، ويتركن الرضعاء ، ويأتي أحد بالماء ، وآخر بالدواء ، بحيث إنّ أحد إخواننا — لا ندري إلى أين يذهبون — قد أصيب بحادثة ، لكن وصلت البلاد من الانحطاط الخلقي إلى أن الناس يسلبون الساعات اليدوية من أيدي الموتى ، ويبحثون عن كيسه بحيث كم من فلوس توجد فيه ، فإن هؤلاء القساة الظالمين بدلاً من أن يلقوا في حلومهم قطرة من ماء ، يشتغلون بسرق متاعه الثمين ، هذه القصص إذا قرأتم في التاريخ ما أيقنتم بها ،

وإذا سمتعم عن رجال بلاد ما وثقتم بها ، لكن نقول ، وبأي لسان نقول : تقع مثل هذه الحوادث في القطارات مرات ، ويكون قريباً من مكان الحادثة قرية بدوية ، فأصحابها ينظرون أن رجلاً في مصيبة وهو بين خشبين ، يستغيث : تأخذون مني ما تريدون ، لكن أخرجوني من هذا المكان الضيق ، فإنهم سلبوا منه ساعته ، وأخرجوا من جيبه الفلوس وتركوه على حاله يتململ ويئن ، إن المجتمع الذي وصل إلى هذا الحد من التسفل والقسوة ، فهل تقر عين إنسان برؤية شيء منه ، وهل يرجى أنه يبقى في الدنيا ، ويؤدي دوراً كبيراً في القيادة ؟

إن الأمر الذي يكرهه الله من الإنسان كراهة شديدة والذي يثير غيرته هو الظلم والاعتداء ، إنه يعفو عن كل شيء ، يعلن القرآن في العقائد بأن الله لا يغفر أن يشرك به ، أما بالنسبة إلى الناس وبقاء الحكومات والحضارات والمجتمعات فالظلم نذير موت ونهاية ، فلا تهمل أمة بعد الظلم والاعتداء على أحد .

أيها الإخوة الشباب : المسلمون والهندوس جميعاً !

تعالوا إلى المجتمعات لوقايتها من الظلم ، واذهبوا إلى القرى والمدن ، ونادوا في الناس أنه لا يكون هناك ظلم واضطرابات طائفية أبداً ، لأن الأبرياء يذهبون ضحيتها .

أسوأ صورة للظلم :

كثيراً ما صورت هذا المنظر أن مسافراً كان يرجع من ممبائي بتمنياته ، حاملاً متاعه القليل وما كسبه ، وقد سمع أن أمه مريضة ،

فهو يفكر في أنه حينما يصل فيأتي بالدواء لها، وتقر عينها برؤية وجهه، وتشعر بالقوة وتفتح عينيها ، فما إن خرج من محطة القطار حتى هجم عليه بسكين ، ففي جانب تضطرب أمه على الفراش ، وهنا ابنها قد مات في الطريق ، فالمجتمع الذي تحدث فيه مثل هذه الجرائم ينال نصيباً من الازدهار العلمي والاقتصادي والسياسي ؟! كلا ، وإن ما يُعدّ من جامعات هذه البلاد ، أقول : وإن كثرت هذه الجامعات عشرة أضعاف لكن لا تكون مبعث فرح وسرور واطمئنان وراحة لهذا المجتمع ، ولا تكون له سبب كرامة وشرف ، وإذا كانت طبقة متوسطة في التعليم لكنها تكره الظلم ، وتكره الاثم ، وتكره الفساد (Corruption) يكون مجتمعنا حياً وقوياً ، ويمكن أن تقود الأمم الأخرى .

أيها الإخوة الأعزة ، والأساتذة المحترمين المبجلين !

معذرة إليكم ، يقول الشاعر مرزا أسد الله غالب :

"سماحاً – يا غالب – بإبداء هذا الكلام المر ، لأن الألم قد تفاقم كثيراً" و إن جاوزت حدودي ، وإن أبديت بعض الحقائق المرة في أسلوب لاذع فعفواً ومعذرةً ، لأن مرارة الحقائق إن ازدادت فلا تنفع من بعدُ حلاوة الكلام ، ومثل هذا العمل خدعة ، قد فسرت حقيقة مُرة في أسلوب مرير ، أعتذر إليكم على هذا ، من أمراض مجتمعنا أنه ليس هنا رجل يجهر بحق ، يستعمل الكناية ، ويسل حزبه وجماعته منه ، ويأخذ بالحيطة الشديدة في مثل هذه المواضع ، بحيث لا يمكن لأحد أن يؤاخذه ، والناس يتفكرون كثيراً في البطش والمؤاخذة ، وقليلاً ما

يتفكرون في فساد المجتمع ، لكن إذا حدث حريق لا تبقى مثل هـذه القيود ، ولا أساليب الكلام المنوعة، إذا اشتعلت لفحـات الحريـق رفعت أصوات في أسلوب عادي و صاح طفل صغير : الحريق ، الحريق ، مثل هذا الوضع في مجتمعنا الآن ، لا قليلاً ولا كثيراً ، قـد وصـل مجتمعنا الآن إلى فوهة بركان ، فلا تنفع حيلة ، فإذا كان هناك شيء فهو وجود العلماء والمثقفين والرجال المخلصين ، ومقاومتهم الفـتن وتقديم نماذجهم أمام العالم لا سيما الهند خاصة.

الشباب هم الذين يقتنصون النجوم :

أكرر قولي : إن هذه الجامعة قد أنجبت الـشيخ محمـد علـي وشوكت علي ، وحسرت موهاني وظفر علي خان (من زعماء تحرير الهند من الاستعمار البريطاني) وأرجو أن هذه الجامعة ستنجب مثـل هؤلاء الرجال ، وهي تحمل مواهب مخبوءة ، أنشد أمـامكم بيـت الدكتور محمد إقبال :

أنت صياد "هما" والآن أنت في بداية المرحلة ، إن هـذا العـالم الانتهازي لا يخلو من المصالح والمنافع .

لا تبذلوا سعيكم في المصالح الشخصية ، إن صدتم طيراً صـغيراً فلا عجب ، ولا فخر ، لا بد أن تكون نصب أعينكم الهند بكاملها ، فلا تتعرضوا للقضايا الفرعية الهامشية ، إن قوتكم ثمينة جداً ، وهدفها مجتمعكم ، هذا الزمن زمنكم ، والبلاد بلادكم ، والقوم قومكم ، فلا تظلموا فيها أنفسكم ، ولا تتلفوا ثروات البلاد ، ولا تنتهكوا حقوق القوم ، فإذا بذلتم جهودكم في الأمور الهامشية ، وهـذه الأمـور لا

تلائم وهمتكم العصامية التي تصيد العنقاء ، وطموحكم ومواهبكم الخفية وميراث هذه الملة والقرآن العظيم الذي تحملونه ، وقد قرأت أمامكم آية منها في بداية الخطبة : (فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ) وهذه الآية تكشف أنه لماذا لم يكن في القرون الغابرة رجال متحمسون ، يشعرون بآلام الآخرين ويمنعون الناس من الفساد ، فإن هؤلاء الأفراد كانوا مفقودين ، فطوي بساط الأمم الماضية ، وصاروا أثراً بعد عين ، وبعداً لهم كما بعدت عاد وثمود .

إنني أخشى أن لا يصاب مجتمع الهند هذا (لا قدر الله تعالى) بمثل هذه العاقبة الوخيمة فأناشدكم أن لا تضيعوا مواهبكم وفطانتكم وقوة عملكم وصلاحيتكم وبصيرتكم في الأمور الجزئية ، بل ابذلوها في صيانة الهند وإعادة القوم إلى العزة والكرامة والسعادة .

أشكركم على أنكم سمعتم كلماتي هذه بغاية من الهدوء والاطمئنان وبالجدية والثقة بالنفس كما هو شأن هذه الجامعة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .